يتابع ابو جورج رواية قصته عن معمل الموبيليا . لا يمل الحديث عن ذكريات الحي . يعتبر نفسه جزءا من تاريخه . وفي كل لحظة يتساءل معي عن جدوى الحياة . يحدثني طويلا عن شقيقه الذي كان جنديا في الجيش الفرنسي في حوران ، فتمرد ابان ثورة جبل الدروز ، ودفع ثمن تمرده ميتة رهيبة في الزنازين الرطبة . المهم في الموضوع ، ان المعمل بعد افلاسه لم يهدم . بقي البناء الكبير في مكانه فارغا من الآلات والشغيلة . كنا نذهب الى هناك لنتفرج عليه ، ندخله فنراه مظلما ، لكنه بقي نظيفا طوال الوقت . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية . لم نعرف الويلات التي عرفناها في الحرب الاولى ، لكننا عرفنا قصف الطائرات . حول الجيش الفرنسي المعمل الى مقر عسكري له . الى ما يشبه الثكنة العسكرية ، التي كان يسكنها عشرات الجنود الفرنسيين ومعهم جنود اعتقد انهم صينيون ، كان يقال انهم من الهند الصينية ، كانوا قصار القامة ، صفر الوجوه ، شبه حفاة ، يلبسون في اقدامهم احذية من المطاط التي لا تقي من البرد . كانوا بمثابة فراشين عند الجيش الفرنسي، يطهون الطعام ، يعدون القهوة . و في اوقات الراحة ، يغنون اغنيات خاصة بهم ،بلغة لم استطع فهمها ، رغم اني حاولت أن اقيم معهم علاقة حسنة .

وفي اوقات القصف ، كان الجنود ينتشرون بين التلال . وكان هؤلاء القصار القامة ، يتراكضون ، باقدامهم الصغيرة التي تلبس احذية المطاط ، بين التلال وينتشرون بين سنابل القمح وهم يتكلمون بسرعة لغتهم الغريبة .

طبعا ، نال لبنان استقلاله بعد الحرب ، وغادرنا الجنود الفرنسيون ، وذهب هؤلاء الجنود الصغار القامة الى بلادهم . واعتقد انني رأيتهم او رأيت ما يشبههم في التلفزيون عندما كانت تعرض بعض الافلام عن حرب فيتنام .

★ ★ ★

جاؤوا . خمسة رجال يقفزون من سيارة جيب شبه عسكرية . يحملون البنادق الرشاشة في أيديهم . يطوقون المنزل . يخرج الجيران من منازلهم يتفرجون . احداهن تبتسم وترسم بيدها علامة النصر . يتقدمون الى المنزل . ويطرقون الباب ، تفتح امي باب البيت بتعجب . يسألها قائدهم عني . خرج من البيت . — اين ذهب — لا ادري .

— تفضلوا اشربوا فنجان قهوة .

يدخلون . يبحثون في البيت عني . لم اكن هناك . يبحثون بين الكتب والاوراق. لم اكن هناك . اكتشفوا كتابا على غلافه الخلفي صورة عبد الناصر . لم اكن هناك قلبوا الاوراق واثاث المنزل . شتموا الفلسطينيين . كسروا سريري وهم يفتشونه . شتموا امي والجيل الفاسد . لم اكن هناك .

وقف قائدهم . يحمل على كتفه بندقية رشاشة ، وفي يده مسدسا يتوعد .
— الافضل ان لا يرجع الى هنا .

لم اكن هناك . امي كانت هناك . ترتجف بالحزن والحقد ، وتمشي في البيت بعصبية . توقفت عن الاجابة على اسئلتهم وتركتهم . جلست على كرسي في المدخل تحرس بيتها ، وهم في الداخل يبحثون عن الفلسطينيين وعبد الناصر والشيوعية الدولية . جلست على كرسي في المدخل تحرس بيتها . وهم في الداخل يمزقون